

النسوية في روايات مجيد طوبيا

إعداد

محمد صلاح الدين السيد مصطفى

باحث دكتوراه في اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة قناة السويس

الملخص العربي:

يقدم الأديب المصري «مجيد طوبيا» من خلال رواياته حالات متنوعة من الأحداث والشخصيات عبر فترات تاريخية مختلفة، وعبر حالات اجتماعية متعددة، وكون المرأة شريكة الرجل في الحياة، فقد كان لها عبر روايات «مجيد طوبيا» أثر كبير عبر الفترات الزمنية المتعددة التي تعرض لها «طوبيا» عبر رواياته، فقد عبّر «طوبيا» عن القضايا النسوية من زوايا متعددة، وذلك في ضوء المتغيرات التاريخية والسياسية والأيدولوجية التي يتعرض لها «مجيد طوبيا» عبر الروايات التي يتناولها هذا البحث، والذي يهدف إلى دراسة القضايا النسوية في روايات «طوبيا» من خلال منهج الدراسات الثقافية، والذي يقوم بتحليل الحالة الثقافية للقضايا النسوية وكيف مثلت من خلال الشخصيات والأحداث أفكارًا ثقافية تعبر عن واقع المرأة وقضاياها داخل روايات «مجيد طوبيا»، وما هو دور المرأة الثقافي خلال الروايات. يهتم منهج الدراسات الثقافية بالقضايا النسوية، وذلك لتنوع أثرها الثقافي؛ بين الأثر الاجتماعي والأثر السياسي، ودور المرحلة التاريخية والأيدولوجيا في تناول القضايا النسوية، وعبر تحليل روايات «مجيد طوبيا» تظهر العديد من القضايا النسوية؛ مثل صراع المرأة مع السلطة السياسية، والتي هي نتيجة للفترة التاريخية، وصراع المرأة مع الأفكار الجديدة على المجتمع، وكيف قدمت تلك الروايات قدرة المرأة على التعامل مع المشكلات النسوية من منظور الدراسات الثقافية، ومن أهم الأزمات الثقافية التي تناقشها الروايات صراع المرأة مع الفكر الذكوري وكيف واجهته.

English Abstract:

Through the novels of the Egyptian writer "Majid Toubia" he presents various cases of events and characters across different historical periods, and multiple social situations. the fact that women are men's partners in life. Through Majid Toubia's novels, they had a great impact across the multiple time periods to which he was exposed through his novels. "Toubia" expressed feminist issues from multiple angles, in light of the historical, political and

ideological changes that “Majid Toubia” is exposed to through the novels that this research deals with. Which aims to study feminist issues in the Toubia's novels through the cultural studies approach, which analyzes the cultural situation of feminist issues and how they represented, through characters and events, cultural ideas that express the reality of women and their issues within the Majid Toubia's novels, and what is the cultural role of women during Novels.

The cultural studies is concerned with feminist issues, due to the diversity of their cultural impact. Between the social impact and the political impact, and the role of the historical stage and ideology in dealing with feminist issues, and through analyzing the novels of Majid Toubia, many feminist issues emerge. Such as women’s struggle with political authority, which is a result of the historical period, and women’s struggle with new ideas in society, and how these novels presented women’s ability to deal with feminist problems from the perspective of cultural studies, and among the most important cultural crises that the novels discuss is women’s struggle with male thought and how she faced him.

المقدمة:

مثلت المرأة في روايات «مجيد طوبيا» روحًا خاصة وحالة متعددة الجوانب هذا إذا درسناها من الناحية الأدبية المعتادة. أما عبر إعمال «الدراسات الثقافية» في الأعمال الروائية لـ «مجيد طوبيا» تظهر القضايا النسوية عبر تفاعلات التاريخ وتحولات السياسة والأبعاد الاجتماعية تمثل حالة من الثقافة المختبئة بين ثنايا النص الإبداعي، وهذا النمط البحثي - «الدراسات الثقافية» - يعتبر تحليلًا من تجليات ما بعد الحداثة الأدبية، فقد هدفت الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إلى إعمال الدراسات التاريخية والاجتماعية والنفسية والنظريات الفلسفية والعلمية في النص الأدبي للكشف عن هذه المضمرات التي تتخفى خلف النصوص، وهذه الأنساق الثقافية المضمره يعطي الكشف عنها رؤى وأبعادًا جديدة للثقافة والحضارة تثيرها فكريًا؛ مما يجعلها تتجاوز حد التعامل مع منطوق ظاهر النص الأدبي إلى قراءة ما هو مضمر خلفه من بعد ثقافي حضاري ينطلق منه النص الأدبي، وهذا البحث المقدم لمجلة «كلية الآداب والعلوم الإنسانية» موضوعه «النسوية في روايات مجيد طوبيا».

عبر هذا البحث يظهر دور الثقافة ومعطياتها وكيف تحفّت داخل بنية العمل الروائي لدى «مجيد طوبيا» بهدف استكشاف الروح النسوية في أعماله، وكيف تحفّت عبر سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسسي - وفهمها وتفسيرها بطريقة أكثر تحررًا واتساعًا في ضوء التعامل مع النص الأدبي لتلك الأعمال الروائية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع الروح النسوية في بنية الأعمال الروائية لدى «مجيد طوبيا» عبر أعماله الروائية، واستنطاق المضمر الثقافي لها عبر الخطاب، وذلك في ضوء تفاعلات الخطاب الفلسفية والاجتماعية والسياسية والأيدولوجية.

أقسام البحث:

- مقدمة: تعرض لموضوع البحث وتقسيماته، ثم نبذة مختصرة عن فكرة الأنساق الثقافية، ومعناها ودلالاتها.
- أهداف البحث؛ حيث تحليل الروح النسوية داخل روايات «مجيد طوبيا».
- قضايا البحث؛ حيث استعراض الأنساق الثقافية للروح النسوية داخل روايات طوبيا.
- الخاتمة، وتقديم نتائج البحث.

تعريف الأنساق الثقافية لغة:

جاء في معجم (لسان العرب) لابن منظور: «النَّسَقُ في كل شيء وما كان على طريقة ونظام واحد عام في الأشياء وقد نَسَّقَه تنسيقاً»⁽¹⁾. أما في القاموس المحيط؛ فقد أتت كلمة (النسق) تحت معنى «ما جاء من كلام على نظام واحد... و(التنسيق) هو التنظيم»⁽²⁾، وعلى هذا سارت معاجم اللغة العربية في نسق؛ النون والسين والقاف دلالة على تتابع في الشيء، فالأصل في دلالة النسق لغويًا نَسَقَ الدرّ وغيره ونسقه ودر منسوق، ومُنَسَّق، وتنسقت هذه الأشياء، ومن المجاز: كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسق ونظام وثرع نسق. وقام القوم نسقًا.

كون نظرية الأنساق الثقافية في قراءة العمل الأدبي أنت وليدة للفكر الغربي، كتجليل من تجليات ما بعد (التنظيم sustema) في اللغة اليونانية (asusteme الحداثة الأدبية؛ فتكشف لنا اللغة أن كلمة نسق) والتركيب والمجموع؛ أي إنها تشترك مع المعنى المعجمي العربي في معنى التنظيم، والبحث في اللغة اليونانية يكشف أنها تحوي فواصل أجزاء اللغة وجمعها بشكل منظم.

أما عن تعريف النسق من منظور فلسفي، فيظهر أن «المقصود بالنسق في الفلسفة والعلوم النظرية مجموعة من الأفكار العلمية أو الفلسفية المتأزرة والمترابطة يدعم بعضها بعضًا ومؤلفة لنظام عضوي متين»⁽³⁾.

تعريف النسق اصطلاحًا:

يذكر الدكتور / سعيد علوش أن:

1- «النسق» عند الفيلسوف الفرنسي «ميشيل. فوكو» علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها.

2- ويعمل «النسق» على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص.

3- كما يحدد «النسق» الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية⁽⁴⁾.

لقد تعددت الرؤى التي عرفت النسق أنه نظام يقوم على استقلال ذاتي، يشكل كلاً موحدًا، تقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها. ولعل هذا يبرز حقيقة أن النسق رابط خفي بين مجموعة من عناصر واضحة يعطيها الأهمية بتوحيدها؛ لتحمل رسالة خفية عبر قراءة هذا النسق، فإذا حدث انفصال لهذه العناصر فقد كل عنصر منها معناه، ولا تقتصر تعريفات النسق عند هذا الحد، فهناك رؤى عرفت النسق باعتباره نتيجة لما يتولد عن اندراج الجزئيات في سياق، كما ظهرت للنسق تعريفات تحمل بعدًا بنيويًا؛ أنه ما يتولد عن حركة العلاقات بين العناصر المكونة للبنية باعتبار أن لهذه الرواية نسقًا؛ الذي يولد توالي الأفعال فيها، أو أن العناصر المكونة لهذه اللوحة من الخطوط والألوان تتألف وفق نسق خاص بها.

تعريف كلمة الثقافة لغة:

أما كلمة الثقافة فلها في اللغة معانٍ عديدة بحسب سياقها في الجملة، وبالعودة لمعجم «لسان العرب» تظهر مادة: «ث، ق، ف» «تَقَفَ، تَقَفَ الشَّيْءُ تَقْفًا تَقْفًا وَتَقُوفًا: حَذَقَهُ... وَتَقَفَ الرَّجُلُ ثِقَافَةً أَيْ صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا»⁽⁵⁾. ومع تطور الكلمة تغيرت وحملت معنى اصطلاحياً، فصارت الثقافة الإلمام بمعارف متنوعة، وصفة تقال عن الإنسان المتمكن من العلوم والفنون والأدب.

تعريف كلمة الثقافة اصطلاحاً:

تعددت التعريفات الاصطلاحية الخاصة بكلمة «الثقافة»، وإن كان الملاحظ أن جلها انحصر في معنى واحد، ويأتي من أهم التعريفات التي حملت المعنى الاصطلاحى لكلمة «ثقافة» تعريف عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي سير/ إ. ب. تايلور، فقد عرفها بأنها «ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والآراء والقدرات الأخرى وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضواً في المجتمع»⁽⁶⁾، كما أن الثقافة عند البحث عن تعريفها ودلالاته تعتبر ذلك البناء المركب الشامل الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نمتلكه كأعضاء في المجتمع ويترسخ في ذواتنا من اعتقادات ورؤى؛ سواء اكتسبناها من البيئة أو توارثناها.

لقد تعددت الكثير من تعريفات الثقافة اصطلاحاً؛ فمنها ما ركز على الجانب المادي للإنسان ومنها ما اجتاز هذا الجانب وربط الثقافة بالجهة المعنوية والروحية، فجاء تعريفه منصباً على المعارف والمعتقدات والأخلاقيات والقوانين والقدرات الأخرى وتناول عادات الإنسان المكتسبة في ضوء اعتباره عضواً من المجتمع، بل إن فريقاً من كبار النقاد نظر إلى كلمة «الثقافة» بحسب ما تعنيه من نمو الفرد أو نمو فئة أو طبقة أو نمو مجتمع بأسره، وإن جزءاً من هذه الدعوة منصب على أن ثقافة الفرد تتوقف على ثقافة فئة أو طبقة، والتي بدورها تتوقف على ثقافة المجتمع كله الذي تنتمي إليه تلك الفئة أو الطبقة، وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هي الأساسية.

يعني هذا أنه حتى نتكلم عن كلمة «ثقافة» يجب أن نعرف الفئة أو المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد؛ حتى ندرك جيداً تفكيره وطموحه ومعتقدده، فالأولى أي الثقافة مرهونة بالثانية وهي الفئة الاجتماعية؛ سواء شكلها المصغر (أسرة) أو المكبر في صورة مجموعة أو فئة أو طبقة، وقد يصل الحد لأن تكون أمة كاملة، ومن ثم تظهر حقيقة أن الثقافة ظهرت كموروث اجتماعي تشكل بفعل التكتل البشري ويضم أفكاراً ومعتقدات وتقاليد.

أما عالم الاجتماع فورد، فإنه يعرف الثقافة تعريفاً في ضوء فعلها في المجتمع والحياة، فيقول بأنها: «عبارة عن الطبقة التقليدية المتبعة في حل المشكلات»⁽⁷⁾، ولكن على صعيد آخر تأتي رؤية أخرى للثقافة لدى علماء الأحياء؛ فهي - في نظرهم - اكتساب وراثي أو فطري ينتقل إلى الإنسان دون

أن يبذل أي جهد، ولعل هذه الرؤية البيولوجية تنكر حقيقة مفادها أن الإنسان هو المغير والصانع في الأصل لثقافته. أما «الثقافة» عند علماء التاريخ فيرونها ما ترسب في الإنسان من أحداث ماضية تاريخية؛ حيث تتراكم خلال السياق الحضاري أو ترسب في الزمان التاريخي، فنمو وترقي وتنتقل وتهاجر من منطقة إلى أخرى، وهذا التعريف للثقافة لم يراعِ حقيقة مفادها أن لو كانت الثقافة تعني ترسبات من الماضي احتملها الإنسان وسار عليها لما تغير الإنسان، وظل على حاله البدائية في شتى المجالات، ولكن يدخل في الثقافة عامل اكتساب بفعل المعرفة المتجددة والتجارب الحياتية. إن تعريفات الثقافة تعددت وتوعدت في الفكر الغربي، ولعل ما جاء جامعاً لدلالاتها مستوعباً ما سبقه من تعريفات كان تعريف اليونسكو للثقافة عام 1970 «أنها كل ما يتصل بالإنسان فكراً وخلقاً وبدناً، بما في ذلك من تدريب نفسي، باعتبار الإنسان عمن سواه من الكائنات الحية الأخرى؛ خاصة فيما يتعلق بإمكانات التعلم واكتساب الخبرات والمهارات»⁽⁸⁾.

وكما قدم المفكرون الغربيون تعاريف متعددة للثقافة حسب رؤاهم، وتنوع مشارهم الفكرية، فقد قدم المفكرون الشرقيون - أيضاً - تعاريف للثقافة، فالمفكر الجزائري مالك بن نبي عرف الثقافة، بأنها: «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط»⁽⁹⁾، ومن هنا تمثل الثقافة في فهم مالك بن نبي أخلاقاً ومبادئ تؤثر بها الفرد من مرحلة نشأته حتى صارت جزءاً من تصرفاته، وتظهر كنقطة اتصال بين فكر الإنسان وفعله وآلية تعامله مع محيط الحياة من حوله.

لا تتوقف الرؤى التي تحاول تفسير الثقافة وتعريفها عند هذا الحد؛ فهناك رؤية حول دلالة الثقافة ومعناها تنظر إليها أنها مجموعة من المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مُشكّلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان؛ فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق من العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته ومدى تأثيره وتأثره.

تعريف النسق الثقافي:

للسق تعريفات متعددة من أهمها ما ذهب إليه علماء الاجتماع أنه «مجموعة مصالح ونواحي نشاط متصلة بعضها ببعض، ويفترض في ذلك وجود نظام مكون من أجزاء أو مظاهر في ترتيب منظم يتميز بالتنسيق في العمل والتكامل في البنين»⁽¹⁰⁾، وقد قدم عبد الله الغدامي رؤيته في تعريف النسق المضمّر انطلاقاً من قراءة النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، تتبع هذه القراءة من وجهة نظر النقد الثقافي، أي إنها حالة ثقافية، ومن هنا تتحول النظرة إلى النص؛ فهو ليس نصاً أدبياً وجمالياً فحسب، ولكنه حادثة ثقافية، ومن ثم فهو يرى أن: «الدلالة النسقية فيه سوف تكون هي الأصل

النظري للكشف والتأويل، مع التسليم بوجود الدلالات الأخرى الصريح منها والضمني»⁽¹¹⁾، ومع ذلك فهو يسلم بالقيمة الفنية وغيرها من القيم النصومية التي تلغيها الدلالة النسقية، ولا يوجد بديل عنها، فالغذامي لا ينكر القيم الجمالية في النسق الثقافي، بل يراها تلعب أدوارًا خطيرة؛ من حيث هي أفنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بما للقيام بعملها الترويض، الذي ينطلق منه «النقد الثقافي» لقراءة العمل الأدبي باعتباره حادثة ثقافية تتعدد فيها الرؤى. أما تعريفه للنسق المضمّر فهو «كل دلالة نسقية مخبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء؛ لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة»⁽¹²⁾.

قد تقع حال من الخداع للكاتب والناقد الثقافي حين يتعامل مع النسق؛ ينتج عنها ألا يصل إلى النسق الخفي الذي يحوي في إضماره فعل الثقافة، ويحدث ذلك «حينما يتأثر الكاتب بظاهر النصوص دون الغوص في المنتجات الثقافية والأحوال النفسية والدوافع السياسية والنغمة وراء النصوص، ينخدع بالمظاهر السلوكية والتعبدية، ويقع في شرك النسق الظاهر؛ فتغيب عنه رؤية النسق المضمّر المتخفي»⁽¹³⁾.

الأعمال الروائية موضوع البحث:

الأعمال الروائية موضوع البحث:

- أبناء الصمت - مجيد طوبيا - دار بتانة للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2018.
- أوراق العذراء - مجيد طوبيا - دار تبارك للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2018.
- ترميم قضية أحسن - مجيد طوبيا - الهيئة العامة المصرية للكتاب - ط 2 - مصر - 2021.
- تغريبة بني حنتوت: «الجزء الأول» - مجيد طوبيا - الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر - 2019.
- تغريبة بني حنتوت: «الجزء الثاني» - مجيد طوبيا - الهيئة العامة لقصور الثقافة - مصر - 2019.
- حكاية ريم الجميلة - مجيد طوبيا - دار بتانة للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2018.
- حنان - مجيد طوبيا - الهيئة العامة المصرية للكتاب - مصر - 1981.
- دوائر عدم الإمكان - مجيد طوبيا - دار تبارك للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2018.
- عذراء الغروب - مجيد طوبيا - دار تبارك للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2017.
- غرفة المصادفة الأرضية - مجيد طوبيا - مؤسسة روزاليوسف - سلسلة الكتاب الذهبي - مصر - 1978.
- الهؤلاء - مجيد طوبيا - مكتبة غريب - ط 1 - مصر - 1983.

أهداف البحث:

- مناقشة طبيعة القضايا النسوية ومدى ارتباطها بالدراسات الثقافية.

- الكشف عن البعد النسوي لدى «طوبيا» في ضوء التاريخ والعادات الفلكورية.
- بحث العلاقات النسوية في ضوء السلطوية الذكورية.
- النسوية في ضوء الثورة والتمرد.

علاقة الفكر النسوي بالدراسات الثقافية:

كون المرأة تمثل القاسم المشترك للرجل في الحياة والتاريخ البشري، فقد لعبت دورًا كبيرًا معه في بناء الحضارة الإنسانية وصناعة التاريخ، بما يحمل من عادات وتقاليد وأفكار، كما كانت مشاركة للرجل في الأحداث السياسية، وفي ضوء هذا لا تخلو الدراسات الثقافية من مناقشة القضايا النسوية، ونتج عن هذا أن عند تحليل الأعمال الإبداعية ثقافيًا تظهر روح المرأة وقضاياها النسوية خلال النتاج الإبداعي، وقد أتت روايات طوبيا من زواياها المتعددة زاخرة بالقضايا النسوية تعبر عنها وعن دورها في تشكل بنية الحدث الروائي، وفي ضوء تحليل هذه القضية عبر الأنساق الثقافية يظهر ذلك عبر الأنساق الآتية:

أولاً: نسق الأنثى المقدسة:

حملت قدسية الأنثى لدى «طوبيا» احتفاء خاصًا فقد جعلها محور رواية كاملة من رواياته وهي رواية «أوراق العذراء» حيث كان محرك أحداثها مناسبة «تجلي العذراء» تلك المناسبة الروحية لشخصية دينية لا تحمل أي اختلاف أيديولوجي عقائدي بين عنصرى الأمة المسلمين والمسيحيين «العذراء مريم» التي لا خلاف على قدسيتها، وتلك الحادثة وقعت في القاهرة إبان هزيمة يونيو 1967؛ حيث صرح «البابا كيرلس السادس» بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية؛ أن تجلي السيدة العذراء وقع في كنيسة العذراء في الزيتون بالقاهرة يوم 2 إبريل 1968 الموافق 24 برمهاث⁽¹⁴⁾، وهذا الحدث بما يحمل من تحليل سوسيوثقافي كان واقعة أساسية اعتمد عليها «طوبيا» في روايته «أوراق العذراء»؛ حيث نظرة الناس وحالتهم النفسية بكل طوائفهم بعد هزيمة 1967 أمام هذا الحدث الروحي الذي تصطبح إليه مديرة التحرير «منيرة كامل» الكاتب الشاب «أحمد مسعود»، وهنا تعددت الرؤى الأيديولوجية من المثقفين والبسطاء من المسيحيين والمسلمين بكل مستوياتهم تجاه الحدث؛ بين من يصرح أنه لا يؤمن بالمعجزات مثل «أحمد مسعود» الذي سئل: «هل تؤمن بالمعجزات؟ لا، أو من بما أحسه فقط وألمسه»⁽¹⁵⁾، وبين مسلم أتى بحج للعذراء التي لا يُخْتَلَفُ دينيًا عليها، وبين المسيحيين القادمين لشهود هذه المعجزة، وبين الفقراء والضعفاء الذين أتوا إليها لقضاء حوائجهم عندها، ويجزمون أنهم رأوها ويطلبون منها تحقيق أمنياتهم التي يعجز الإنسان والعلم وقتها عن تحقيقها في صورة لضعف الإنسان أمام قوة الحياة والقدر، فهذه «أم» أتت لابنها المفقود في الحرب، ومريضة روماتيزم أتت ترجو الشفاء وغير ذلك الكثير، بما ينقل الحدث من بعده الديني لقراءة سوسيوولوجية لوضع الشعب بعد الهزيمة، وكيف كانوا يفكرون ويبحثون عن ملاذ آمن، وينقل لطبيعة متأصلة في الشعب من أقدم العصور، وهي البحث عن «أم» يرتمون في حضنها عند الشدائد؛ ففي

فترة الديانة المصرية الأم كانت الربة إيزيس - أو إيزة - تمثل للمصريين الأم المقدسة التي يحتنون بها ويقدمونها، وقد أشار «طوبيا» عبر روايته «ترميم قضية أحمس» إلى أم أخرى مقدسة للشعب المصري هي الملكة الأم «إياح حتب» التي قادت البلاد مع زوجها وابنيها حتى تحقق النصر وطرد الهكسوس، ومع تحول المصريين للمسيحية حلت «العدراء مريم» محل الأنثى المقدسة «إيزيس» وقامت بهذا الدور، ومع دخول الإسلام ونمو الحالة الروحية من العصر الفاطمي ظهرت «السيدة زينب» المعروفة بأُم العواجز، وقامت بهذا الدور، في حال من التوازي مع «العدراء مريم» التي يشترك في تقديسها المسلمون والمسيحيون، ولا زال المصريون حتى الآن يحتفلون ب: «عيد النقطة» والذي إن أخذ شكلاً مسيحياً، ولكنه في الأصل صلة بين الإلهة الأم «إيزيس» وبين النيل مصدر الحياة؛ حيث يورد الباحث أحمد السيد الكردي أنه «كان المصريون القدماء يؤمنون بأن مياه النيل تزداد عندما تتذكر الإلهة «إيزيس» وفاة زوجها «أوزيريس». وتجلس على شط النهر وتبكي»⁽¹⁶⁾، فتنزل دموعها إلى النهر؛ وتزداد المياه، ويأتي فيضان النيل، ويظل هذا العيد مستمرًا يحتفل به المسيحيون المصريون وإن أخذ شكلاً آخر، وتظل القدسية الأثوية قائمة في لحظات الفقد والضعف الإنساني حتى وإن زالت الألوهية، فيكون الاتجاه والطلب من «العدراء مريم» أو «السيدة زينب أم العواجز».

ثانياً: نسق الفلكلور والقضايا النسوية:

لعب الفلكلور المورث دورًا في علاج القضايا النسوية ومشكلات المرأة لدى «طوبيا» في أعماله الروائية، وذلك من خلال مناحٍ متعددة؛ حيث كان الفلكلور إما نابعًا من الموروث البيئي الذي تشكل من احتكاك الغنسان بالبيئة المحيطة به، أو نابعًا من الحالة الروحية والعقلية التي وثق الإنسان فيها واطمأن لها، وتظهر علاقة الروح النسوية بالفلكلور الموروث سواء كان بيئيًا مرتبطًا بالتاريخ والحضارة أو روحياً مرتبطًا بالمعتقد الديني - عبر ما يلي:

الحالة الأولى «السحر»: ذلك الفن الروحاني الذي تعرض له علماء الأنثروبولوجيا، وكيف أنه أصيل في تاريخ المجتمعات البشرية القديمة، ورغم ارتقاء الإنسان في أدوار الحضارة والتمدن إلا أنه ظل مستمرًا حتى عصرنا هذا، وإن كان في بعض المجتمعات أخذ تشكلات حضارية مختلفة، والسحر لغة: «كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع»⁽¹⁷⁾، وقد عرفت مصر من فجر التاريخ طقوس السحر التي ارتبط جزء منها بديانة قدماء المصريين؛ حيث اعتُبرت التعاويذ والتمايم التي يعدها الكهنة تحمي الإنسان في الدنيا، وتحرس روحه وهي تمر في طريقها إلى محكمة الآلهة، وكون الأديب «مجيد طوبيا» ابن محافظة المنيا، فقد اختمرت في روحه حالة الثقافة المصرية، بما تحمل من رغبة في تسخير قوى ما وراء الطبيعة، ويظهر أثر السحر في أعماله؛ حيث لجوء المرأة إليه للنجاة في مشهد بداية روايته «تغريبة بني حتحوت» عندما وُلد «رضوان» أبو البطل «حتحوت» فإن الأم تأخذه إلى ساحر؛ ليصنع له حجابًا واقياً

من الشرور؛ لعله يجرسه ويحميه، كما يظهر السحر ليس كطقس روحي للوقاية وتسخير القوى للحماية، وإنما كحالة من الجهل الثقافي والحضاري بالتفسير العلمي لبعض الأمور، فيكون السحر محاولة لتفسير بدائي لها؛ حيث «هنومة» الفلاحة الفقيرة الراغبة في الإنجاب بدافع غريزة الأمومة لا تجد وسيلة من الوسائل الريفية البدائية تعينها على ذلك، فتكون طقوس السحر وإطلاق البخور حلاً لها، وكأن حال الطقوس السحرية في ذهنية الشعوب القديمة ما زال أثرها الثقافي قائماً في الرغبة في تسخير القوى الخفية في الكون؛ لتحقيق الرغبات التي يعجز الإنسان عن صنعها، وكون عقم «هنومة» أمراً طبيئاً مع خلفية حال القرية من فقر وتردد تعليمي يجعل من السحر في هذه الحال مستوى بدائياً من الثقافة يعبر عن جهل المجتمع أمام إدراك علل الأشياء المباشرة، فلا يوجد مستوى طبي حديث يفسر سر عقم «هنومة» والطريق الصحيح لعلاجها، فتفر البطلنة إلى طقوس السحر، وإطلاق البخور، وعن العلاقة بين السحر والعلم وأثرها الثقافي على الحضارة الإنسانية يرى الكاتب محمد السعد أن «اكتشافات العلم وثوراته تكون على حساب السحر، فالعلاقة بينهما عكسية، فكلما زادت مساحة العلم انحسرت معه مساحة السحر والعكس صحيح»⁽¹⁸⁾.

الحالة الثانية «حلب النجوم»: لعل هذه العادة الغريبة بما تحمل من أثر ثقافي تقترب من طقوس السحر وتتشابه معها في عقلية الشعوب البدائية الأولى؛ حيث الرغبة في تسخير قوى ما وراء الطبيعة في إجراء أمور يعجز الإنسان عنها، ولكن الحالة هنا - رغم هذا التشابه - تقترب بطريقة أخرى من العبادات الوثنية الجنسانية الأولى؛ حيث يكون الجسد صلاة وقرباناً للإله، وتلك علة الفصل وعدم إدراجها في عادة السحر، وقد عرفت الشعوب القديمة هذه الأفعال ومنها قدماء المصريين؛ حيث «بعض النساء كان عليهن القيام بدور خاص في حضرة الإله؛ إذ كان عليهن القيام بأفعال جنسية مثيرة لإثارة فحولة وخصوبة الإله»⁽¹⁹⁾، وعليه فالكاتب في رواية «دوائر عدم الإمكان» والتي باد من اسمها حال العجز والته في دوائر عدم الإمكان، وبطلنة الرواية تحيا في منظور سوسيوثقافي قديم؛ فالبيئة ريفية بدائية لا تتوفر فيها الوسائل الطبية الحديثة، وتعاني عدم الإنجاب، فمن هذا الطور الثقافي المتراجع حضارياً تسعى هي لإيجاد حل؛ لأنها محاصرة بفقد غريزة الأمومة من ناحية، وبضغط المجتمع وما يلوكة أهل القرية عنها وعن سيرتها كأمراة شديدة الجمال، لكنها لا تنجب من ناحية أخرى، فترجع حال عجزها للحالة الثقافية البدائية؛ حيث الإنسان العاجز يتقرب لقوى الطبيعة لتساعده، ف «هنومة» تشير عليها فلاحه أخرى بعادة قديمة هي «حلب النجوم»؛ ليزول عنها الحظ السيئ، وتنجب كما تحمل؛ وفكرة عادة «حلب النجوم» تتمحور حول أن تختار «هنومة» ليلة وتصعد إلى سطح بيتها وهي حريصة ألا يراها أحد الجيران، ثم تحضر معها لبن أتان «حمارة»، ثم تتجرد من ملابسها وتمدد على سطح البيت، وتختار نجماً شديداً البريق في السماء وقتها، تكشف مفاتن أنوثتها كاملة أمامه، وتدهن جسدها بلبن أنثى الحمار هذا، وتتمنى عليه ولكن «هنومة» - وبعقلية الأجداد المتأخرة علمياً عما وصل له علم الفلك - تقرر أن تتواصل روحياً بجسدها مع ما هو أكبر وأعظم

من النجوم مع القمر؛ لعل هذا يكون فيه قدر أعلى من النجاح وتحقيق رغبتها في الإنجاب، فتقرر أن تجعل طقس «حلب النجوم» موجهاً للقمر ذاته؛ ظناً منها أنه الأكبر والأقوى من النجوم وبه ستحقق رغبتها، عبر هذه الحالة الثقافية التي تجتمع فيها العتاقة الفكرية والجنوح نحو العبادات الجنسانية الوثنية؛ إلا أن النحس يلاحقها ففي تلك اللحظة، وهي تتقرب للقمر بجسدها العاري ينخسف جرم القمر؛ ليقع عليها النحس الكامل، ويحق القول أنها لا يمكن ألبتة أن تحمل وتلد كبقية النسوة، وهذا التصور السوسيوثقافي لعلاج تلك الأزمة الحضارية التي تعاني منها البطلة، فهي مريضة بعلّة تمنع إنجابها - لعل الطب الحديث يمتلك آلية علاجها - ولكن في قرية بدائية لا توجد بها إلا «حكيمة» يظل ميراث الإنسان من العصور البدائية حلاً للمواجهة في ظل طور حضاري بدائي، وللقمر بعد آخر مرتبط بالروح الوثنية القديمة يظهر في رواية «أبناء الصمت»؛ حيث القمر في موروث فلكلوري قديم سبب للإصابة بالجنون أو ما عبرت عنه أم الجندي «صابر الصعيدي» بـ «لطشة القمر» التي تصيب من ينظر للقمر كثيراً بالجنون، بل وعبر الرواية نفسها ينظر الأبطال للقمر بخوف ورهبة وإيمان خفي أنه يحدد مصائرهم ويقود أقدارهم، وذلك ليلة العملية الحربية «عملية البدر» في عمق سيناء المحتلة.

الحالة الثالثة «منديل الشرف»: تلك العادة المجتمعية التي تحمل في طياتها بعداً نسوياً يحمل أثرًا ثقافيًا

بين المجتمعات الدينية المحافظة والمجتمعات المتحررة؛ بكل ما تحمل هذه العادة من قضايا جنسانية وسوسيوثقافية؛ إذ تظهر متخفية عبر أعمال «مجيد طوبيا» حالة من التسامح الفكري في العلاقات الجنسية، ولكن كونه راصداً للمجتمع من حوله، وقد تربى ونشأ في صعيد مصر، فتظهر في رواياته عادة أو تقليد «منديل الشرف» عند الزفاف، كعلامة على العذرية وشرف العائلة بين الناس، وتظهر تلك العادة عبر روايات «مجيد طوبيا» ذات أثر على الفرد والجماعة، حيث يمثل بحالته الثقافية تلك مظهرًا من مظاهر الفرح والتباهي، كما يمثل مظهرًا كاريئًا وغيبيًا خفيًا في المجتمع، ففي رواية «تغريبة بني حتحوت» يظهر «منديل الشرف» حالة من التباهي عندما تتزوج بنات عائلة «حتحوت»، ويخرج الأب بالمنديل يتباهى أن ابنته عفيفة لم يمسه أي رجل قبل زوجها، وتعلو موسيقى الطبل والزمير إشارة للشرف والمجد. أما في رواية «عذراء الغروب»، فيمثل «منديل الشرف» حالة من الانهيار المجتمعي؛ فالبطل «حسن السبع» حين زفاه على محبوبته «زكية» كان ينتظر أن يخرج رافعاً رأسه بمنديل الشرف مباهياً أمام أهالي «نجع الغروب»، لكنه وجد محبوبته مسلوبة العذرية، بل وجدها تحاول أن تخدعه بدماء عذرية كاذبة هي «دماء أرنب»، إلا أنها تفشل في حياكة الكذبة؛ لينهار «حسن السبع» الذي يجد العذرية تلك القضية النسوية الكبرى صارت سلعة تباع وتشترى؛ بفعل الفقر وسيطرة رأس المال، فـ «زكية» حالة لتسليع المرأة التي فقدت شرفها، بسبب فقرها على يد العمدة الظالم «غرباوي» الذي يهتك عرض الفلاحات؛ بسبب فقرهن وحاجتهن للمال، بل ويتخلص من جرمته بتزويجهن بالخداع من فلاحين طيبين يصدقون دماء العذرية الكاذبة، والتي هي في

الحقيقة «دماء أرنب»، وبذلك تمثل العذرية و«منديل الشرف» حالة سوسولوجية ذات أثرين ثقافيين واقتصادي للمرأة والرؤية النسوية لمعالجة القضايا؛ فمن الناحية الثقافية يظهر البعد الديني المحافظ الذي يرفض العلاقة خارج إطار الزواج ويتباهى بعفة المرأة، وفي المقابل يستشعنها إن فقدت عذريتها كون العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج محرمة في الأديان السماوية الثلاثة. أما من الناحية الاقتصادية فـ «زكية» ضحية الصراع الطبقي؛ حيث تجتمع في العمدة «غرباوي» سطوة السلطة مع سيطرة رأس المال، مع طبيعة المجتمع الذكوري الذي يرى للرجل الحق في امتلاك المرأة واعتبارها آلة لمتعته، ما دام يدفع لها الثمن الذي يحدده، فهكذا كان يفكر العمدة «غرباوي» ويبرر لنفسه فض البكورة للخادمات الفقيرات اللاتي توجهن الظروف الاقتصادية للعمل عنده في بيته، ما دام يعطينهن المال ويزوجهن لفلاحين فقراء مع تزييف البكورة بدماء كاذبة، بل وفي ظل نطاق قضية تسليع الجسد والمرأة وعبر حالة تاريخية كان الإنسان فيها سلعة أيام الرق تظهر العذرية معياراً اقتصادياً لتسليع المرأة المباعة؛ ففي رواية «تغريبة بني تحتوت» تكون العذرية سبباً في ارتفاع سعر الفتاة المخطوفة من السودان لتباع كجارية - فترة توسع محمد علي - في حين أن النحاس يحزن بشدة عندما يجد أن الجارية التي جاؤوه بها قد سبقه إليها رجل - قد يكون أحد خاطفيها - وافتض بكارتما؛ لأن هذا سيهوي بسعرها عند بيعها إلى زنون، فكان النحاس يلجأ لتحسين صورة سلعته فاقدة العذرية بعرض أماكن فتنها للزبون.

أما قضية العذرية عند الكاتب فقد كان متسامحاً فيها في أعمال أخرى؛ فعبر روايته «حكاية ريم الجميلة» قدّم «ريم» التي مارست العلاقة الجسدية مع حبیبها الرسام - كضحية مخالفاً العرف الديني الاجتماعي السائد، بل إنه في روايته «حنان» كان متعاطفاً مع البطلة «حنان» المتزوجة حين أقامت علاقة مع فارس عجري؛ لافتقادها غريزة الأمومة وحالة الاحتواء النفسي لإهمال زوجها لها، والأغرب أن الكاتب يصور حالة نسوية لقضية الشرف والعذرية فيها لا تتسامح الفاعلة مع نتيجة فعلتها، ففي رواية «عذراء الغروب» تظهر «الهاتم» المتزوجة وقد مارست العلاقة مع «عم علي الضيرير»؛ لتنجب الفتاة «خمرية» وتظل طوال الأحداث تعاملها بجفاء وغلظة، وتراها سبب النحس والخراب الذي حل بنجع الغروب؛ رغم كون «خمرية» رمز المرأة الضحية، بينما الفاعل المحرك للقضية النسوية هنا هي «الهاتم» نفسها.

إن «منديل الشرف» يظل صورة لحال نسوية ثقافية تعبر عن الفخر العائلي بالعفة، ومع تطور الحياة وظهور قيم المجتمع المدني الحديث بما يصون خصوصية العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة، وبما يدافع عن الروح النسوية في ضوء الفكر التقدمي الحديث - إلا أن قضية «الشرف» وتلك الحالة السوسيوثقافية - منديل الشرف - تظل ظاهرة في القرى والأماكن النائية عن المدينة؛ ففي ليلة الزفاف ترفع عائلة العروس - تحديداً الأب أو الأخ الكبير - المنديل الملطخ بدماء العذرية وتنطلق الأعيرة النارية ابتهاجاً وتباهياً بأن هذه العائلة عفيفة تصون نساءها عن الرجال، وهذا يظهر كون هذه المجتمعات تخضع لما يعرف بـ: «نظرية مركزية

«؛ حيث المجتمعات التي تسودها السيطرة الذكورية، بل وأكثر Phallocentric Theory القضيب من ذلك أنها تعكس قوة القضيب الذكوري، وفي ضوء هذا تشكلت مؤسسات المجتمع»⁽²⁰⁾ وترسخت بنية الأفكار.

ثالثاً: نسق سلطوية المجتمع الذكوري على المرأة:

تعتبر تلك الحال النسقية من أهم القضايا التي تشغل مباحث الدراسات الثقافية والنقد الثقافي من منظور القضايا النسوية؛ حيث احتلت قضية هيمنة المجتمع الذكوري وأثره على قضايا النقد النسوي حيزاً كبيراً؛ خصوصاً إذا كان مصدر تلك الهيمنة - الثقافة الفوقية عبر السلطة السياسية الحاكمة أو الأيديولوجيا مصطلح صاغته الناقدة الأدبية الأمريكية - إيلين Feminist Critique الموجهة، «والنقد النسوي شوالتر في كتابها: «نحو بلاغة نسوية» عام 1979، فالنقد النسوي يصف طرق تصوير المرأة في النصوص التي يكتبها الرجل...»⁽²¹⁾، وعبر روايات «طوبيا» تظهر هذه العلاقة النسقية بين أثر السلطوية الذكورية وما ينشأ عنها من قضايا نسوية، وخلال الأعمال الروائية ل: «مجيد طوبيا» ظهر أثر سلطوية المجتمع الذكوري بأشكال متعددة، فخلال رواية «ترميم قضية أحسن» تظهر طبيعة المجتمع الذكوري، ولكن في إطار متناسب بين سيطرة الرجل على المرأة، وأحياناً سيطرة المرأة على الرجل، وعلة ذلك الحضارية كون الطبيعة النهرية كانت منبع الفكر والثقافة من ناحية، والأيديولوجيا من ناحية أخرى؛ إذ طبيعة ديانة قدماء المصريين التي جعلت من المرأة إلهة قبلتها ملكة أيضاً، كما ظهر في شخصية الملكة الأم المقدسة «إباح حتب» زوجة الملك «سقن رع تاعا الأول» والتي نصبت الملوك من بعده، وقادت الدولة أثناء الحرب؛ حتى تحقق النصر، كما كانت حكيمة في فكرها وفي إدراكها لحكمة الآلهة في إدارة العالم بين الحياة والموت والهزيمة والنصر، مثلما شرحت للمواطن «نشى»، وظهر دور المرأة الفاعل في الملكة «نفرتيتي» التي كانت داعمة لزوجها «إخناتون» في ثورته العقائدية، ووقوفه في صراع ضد كهنة الآلهة الأخرى مثل «آمون رع» و«بتاح». ومن زاوية أخرى تظهر طبيعة المجتمع الذكوري في الميل إلى جعل المرأة تلتزم بأعمال المنزل، وترك للرجل المهام العسيرة عبر قصة الحب بين «نشى» و«ميريت»؛ حيث أوصاها برعاية الزهور الموجودة في بيته، وكذلك الطيور التي كانت تربيها أمه، ولكن تأخذ السيطرة الذكورية بعداً فيه استهانة بطبيعة المرأة وبنيتها الجسدية، كما ظهر في النصاب «خاعي» الذي أراد سرقة أرض الأرملة «نوب نفره» مستغلاً وفاة زوجها «حوي»، وقد استعان بالرشوة والقوة لنزع ملكية الأرض منها، وبعد سنين طويلة كانت قد توفيت خلالها ظهر الحق واستعاد ابنها «ميس» الأرض.

أما في رواية «تغريبة بني حتحوت»، فحال السيطرة الذكورية على المرأة - أو بحسب تعبير آرثر أيزابجر « - تظهر بوضوح عبر نسقية ثقافية تحمل Phallocentric Theory «نظرية مركزية القضيب قضايا عدة، منها عادة «منديل الشرف» التي كانت تظهر في أفرح عائلة «حتحوت» في قرية «تلة»

بالمنايا؛ لتؤكد أن عذرية المرأة كانت تمثل قيمة كبيرة عند المجتمع، كما تظهر في مشهد إصرار القائد «حسن باشا القبطان» وجنوده على بيع زوجة الأمير المملوكي «إبراهيم بك مرزوق» سداً للمال المفروض على زوجها، وكذلك احتجاج نساء «المعلم إبراهيم الجوهري» حتى يخبرن بمكان الذهب والفضة في بيته، كما تظهر السلطوية الذكورية في عمل النخاسة الذي كان شائعاً في مصر؛ عن طريق إحضار العبيد وبيعهم على يد التاجر «ثوث»، وكان سعر العذراء يفوق سعر المُستعملة. كما مثلت الأنوثة والسلطوية الذكورية على المرأة مساراً لتغير الأحداث أثناء حروب السودان؛ حين أخذ «إسماعيل بن محمد علي» بنصيحة «الشاطر»، ورد على «مك الشايقية» ابنته بكامل عذريتها؛ مما جعله يُسلم ويوقف الحرب رغم ما قُتل من رجاله، والحال نفسها تكررت عند فتح «الخديو إسماعيل» لبلاد «الفور»؛ حيث ذهب إلى قائد الجيش المصري «الزبير رحمت» أحد «مكوك الفور» ومن أجل فداء عذرية ابنته باع أسرار جيش أهله «الفور» العسكرية، ولكن تظهر عبر أحداث «التغرية» حال فيها ثورية نسائية تخرج فيها النسوة تهنف ضد الحاكم الظالم «البرديسي بك»، وهو الحاكم الذكر المحمي بالجنود المسلحين، ولكن خروج النسوة جاء حالة ثورية تختمي بالتقاليد والفلكلور المعروف لدى المجتمع؛ إذ لا يمكن لرجل أن يهاجم امرأة أو أن يتناول عليها بالضرب، فهذا يعتبر عاراً عليه.

أما عبر رواية «حكاية ريم الجميلة» فإن قضية السلطوية الذكورية وأثرها النسوي تظهر واضحة في شخصية والد «ريم» الذي كان مزواجاً يستمتع بتكرار الزواج بحثاً عن الجسد الأجل والعذرية، وكلما ملّ طلق وتزوج أخرى، كما تظهر في واقعة وفاة «أم ريم» التي بسبب تشدد الأب في خروج النساء من البيت تأخروا في علاجها، حتى ساءت حالها وكان أن ماتت؛ لتكون ثقافة المجتمع عبر سلطوية الذكر سبباً في موت الأم ونفور البنت بعد ذلك من والدها، ومن مجتمع الصعيد بسلطوية الذكر فيه، فتنتقل «ريم» إلى مجتمع منفتح متحرر؛ حيث المدينة والثقافة الحداثية الوافدة من الغرب؛ ولتظهر نسوية سلطوية للذكر على المرأة عبر «يونس فريد» مدعي الثقافة والتحرر الذي يسيطر على «ريم» عاطفياً مدعيًا الثقافة والتحرر، وهو يخفي ذكورية ترى استعلاءه على المرأة، فيسلب «ريم» عذريتها، ثم يُجهض حملها. أما عبر رواية «دوائر عدم الإمكان»، فالسلطوية الذكورية على المرأة نابعة من تردي المستوى الحضاري للقريبة وتراجع الوعي الثقافي، وهو الذي ألقى على المرأة «هنومة» مسؤولية عدم الإنجاب، وجعلها تحيا في أزمة نفسية، رغم أن «الحكيمة» أشارت لزوجها أنه أهمل علاج «البلهارسيا»، ولكن أهل القرية يحملونها مسؤولية عدم حملها باعتبار الإنجاب مسؤولية المرأة لا الرجل؛ مما يدخلها في دوامة عالم الشعوذة؛ بحثاً عن حل عبر وصفة بدائية من امرأة أخرى جاهلة؛ لتصنع تلك السلطوية الذكورية للمجتمع معاناة نفسية تكون سبب المصير الحزين لـ «هنومة».

أما في رواية «عذراء الغروب»، فإن السلطوية الذكورية وأثرها النسوي تظهر عبر زوايا متعددة؛ الزاوية الأولى في جعل عدم الإنجاب مسؤولية المرأة لا الرجل أيضًا؛ مما جعل «سيد الغروب» يهدد زوجته «الهائم» بالزواج من أخرى إن لم تنجب له، لتقودها السلطوية تلك إلى خيانتها مع «عم علي الضرير» حتى تنجب، وتحرك السلطوية الذكورية «الهائم» لتقف ضد هدم قبر زوجها من أجل مرور ترعة الماء وفاء له؛ بل وتحمل السلاح دفاعًا عن ذلك القبر في وجه العمال والمهندسين وآلة الحفر، مما كان سيكلفها حياتها، كما تمثل «الهائم» نفسها سلطوية المجتمع الذكوري تجاه المرأة العصرية التي تعمل مع الرجال والمتمثلة في طبيبة المشروع «سوسن»؛ حيث ترميها «الهائم» بالزنى، كما تظهر السلطوية الذكورية في «العمدة غرباوي» الذي كان يجد متعته في الاستغلال الجسدي للفلاحات الفقيرات اللاتي كان يجبرهن على ممارسة الجنس معه وينتزع عذريتهن، بما فيهن الفلاحة «زكية» التي تزوجت «حسن السبع»، وفي المقابل تظهر روح مقاومة السلطوية الذكورية عبر طبيبة المشروع «سوسن» التي تتصدى بذكاء علمي - يبرز قوة المرأة المدعومة بالعلم - لمحاولات العمدة «غرباوي» الإيقاع بها، عندما استدعاها للكشف عليه وطلب منها أدوية جنسية، فعاقبته بأن أعطته أدوية مسهلة للأعضاء، كما صانت نفسها وعملت بكل شرف وسط الرجال.

أما في رواية «غرفة المصادفة الأرضية» فسلطوية الذكر على المرأة تظهر عبر منحيين؛ أحدهما أيديولوجي والآخر اقتصادي مادي؛ أما المنحى الأيديولوجي فيظهر في شخصية المعارض العربي اللاجئ إلى مصر «وليد» بما يحمل من روح ثورية نضالية تجذب ناحيته فتياتين هما «مهجة» و«زوبة» اللتين يحرصان على خدمته من ناحية وتنشأ بينه وبينهما علاقة عاطفية هشة، فرغم أن «مهجة» صارت تحاكيه في أفكاره وتردد مصطلحات ثقافية مثله إلا أنها تهرب منه بحثًا عن المال عند «رسمي بيه». أما «زوبة» فمشاعرها تشتت بفعل عبثية «وليد»، لدرجة أن تصل إلى مرحلة الفتور وعدم الاكتراث؛ بسبب كثرة نزواته واللاتي يترددن عليه؛ مما يكشف عن جانب الخلل الأيديولوجي لديه، وعدم ثباته على الموقف وسلبيته الفكرية. أما البعد المادي المتحكم في القضية النسوية، فيظهر في «رسمي بيه» الذي يمتلك المال والشقة الخاصة «الجرسونيرة»، ليمثل نسق سطوة رأس المال على الأيديولوجيا الثورية؛ حيث تهرب «مهجة» إليه وتقيم معه في شقته الخاصة، وتهرب منه بعد أن أهانها؛ بسبب إيوائها شائبًا شارك في مظاهرات طلاب الجامعة، فيقول «طوبيا» على لسان «رسمي»: «كم تكون الكارثة لو ضُبط هذا الكلب في شقتي وماذا سيكون رأي المسؤولين في؟! طبعًا لا أحد يعرفها هي وإنما سيقولون بأن رسمي كان يخبئ أحد المشاغبين في بيته...»⁽²²⁾، ومن هنا تختفي «مهجة» بعد أن يطردها «رسمي بيه»، ليكون للسلطوية السياسية دور في قمع دور المرأة في المظاهرات، حتى وإن كانت «عاهرة» كما وصفها «رسمي».

أما في رواية «أبناء الصمت» فطبيعة السلطوية الذكورية على المرأة تتماهى مع مؤسسات الدولة من ناحية، ومع الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية؛ إذ بطلت الرواية «نبيلة عويس» الصحفية الشابة والمحور

الأنتوي عبر أحداث الرواية تقع تحت سلطة القمع الفكري وحرية التعبير من السلطة الحاكمة المتمثلة في الرقيب على الجريدة التي تعمل بها، والذي كان يغير مقالاتها، ويمحو منها كما يشاء، كما في شخصية «أحمد راجي» رئيس التحرير الذي كان يصادر أفكارها الثورية؛ خوفاً من السلطة ويوجهها لكتابة موضوعات برافة تافهة تتناول حياة الليل والممثلين، كما تظهر سلطوية نظام الدولة عليها في الظروف الاقتصادية الصعبة للوطن؛ مما يجعل أمور زواجها من خطيبها المجدد «مجددي الأعسر» تتعثر. أما سلطوية الصراع الحربي بين العرب وإسرائيل الذي يدور بين الجيوش، فقد ألفت بظلالها على المرأة وقضايا النسوية، عبر التهجير والقتل وتأخير الزواج؛ فقد ظهر القتل والتهجير في الغارة الإسرائيلية على السويس التي تسببت في هجرة الأهالي من المحافظة، ومقتل أم المجدد «محمود السويسي» وكان من المهجرين زوجته. كما تسببت سلطوية الصراع الحربي في مقتل «مجددي» خطيب الصحفية «نبيلة».

أما في رواية «أوراق العذراء» فإن السلطوية الذكورية تبدو عبر نظرة المحررين في الجريدة لـ «منيرة كامل» مديرة التحرير، والتي يصفونها بتعدد المغامرات الجنسية، وأنها لا ترضى عن صحفي شاب حتى تجربته، كما تنفعل - منيرة - بسبب عدم التزام قادة السيارات بقانون المرور، فتنفجر في الناس سباً، ولكن عند زيارة تجتمع الناس لمشاهدة حدث تجلي العذراء يظهر انجذاب عاطفي بينها وبين الصحفي الشاب المرافق لها، ولكنها لا تخضع لسلطويته، بل تملك - هي - قرار اللقاء والتعامل معه. أما في رواية «حنان» فإن السلطوية الذكورية أخذت منحى في التعامل مع المرأة منبعا للعلاقات الاقتصادية وتسليع الغرائز والجسد، فأيقاع الرواية مواكب لفترة التحول الرأسمالي لمصر؛ حيث الزوج رجل الأعمال «نصر» كل ما يهمه المال والربح، وفي سبيل ذلك لا يكتثر لمشاعر زوجته «حنان»، ولا لاحتياجها العاطفي والجنسي، كما لا يهتم بحاجتها لغريزة الأمومة، وفي المقابل يسعى لاستغلال سكرتيرته جسدياً؛ لمعرفة أسرار شركة منافسة، بما يصور نسقية سلطوية الذكر صاحب رأس المال، وكيف يعتبر جمعه للذكورة ولرأس المال حقاً كافياً للتحكم في المشاعر والغرائز الأنثوية. أما سلطوية الذكر على المرأة في رواية «الهؤلاء»؛ فتظهر عبر بُعد القهر والدكتاتورية السياسية، فعند التحقيق مع «الكاتب المثقف» بطل الرواية من قبل المحقق «الرجل المضغوط» تظهر سلطوية الذكر في الأنظمة القمعية الرجعية، والتي تعتبر الجسد الأنتوي عاراً ووعيباً ووسيلة للضغط والتنكيل؛ حين يقوم المحقق «الرجل المضغوط» بالكشف للكاتب المتهم عن بيانات معشوقته ومواصفاتها، بل ويستعرض صوراً لها في أوضاع حميمية خاصة وهي عارية؛ كي يضغط على الكاتب وعلى أفكاره ويخضعه لقهر الدكتاتور «الديجم»، ثم يستخدم معه لغة فيها إذلال وتهديد بالعقاب؛ فيقول «طوبيا» على لسان المحقق: «انتظر .. إجراء صغير أتخذه معك وتنصرف إلى بيتك عزيزاً مكرماً، وإلى حضن حبيبتك المثيرة التي أحسدتك عليها»⁽²³⁾، بما يجعل المرأة ومشاعرها وجسدها محلاً للإذلال والتهديد، بل وتقييد الحرية الرأي.

لقد قدم «مجيد طويبا» عبر رواياته القضايا النسوية بما يرسم سلطوية الذكر والمجتمع على الأنثى وأثرها على طريقة تفكير الشخصيات وتحليل مقدار الوعي الحضاري للمجتمع، وكيفية تعامله مع هذه الحالة السلطوية للذكر، بل في بعض الأحيان كانت المرأة تملك زمام السلطة في ضوء واقع ثقافي حضاري يتسم بالوعي والقوة، كما كان في شخصية الملكة «إياح حتب» في رواية «ترميم قضية أحمس»، وكما كان في شخصية «ثريا الشركسية» وصيفة زوجة «إبراهيم بن محمد علي باشا»؛ إذ هي التي اختارت «الشاطر» بإرادتها لتتزوجها واتسمت بالقوة والجرأة بخلاف المعهود وقتها في المجتمع، وقد عبر عن صراع المرأة لإثبات ذاتها ودورها الثقافي في المجتمع الدكتور جابر عصفور، فقال: «ومن الطبيعي والأمر كذلك أن يستنكر الوعي الذكوري العام - ولو على المستوى اللاشعوري - ترفي المرأة ووصولها إلى أعلى المناصب، ولا يقبل فتح أبواب بعينها أمام النساء، وذلك جنباً إلى جنب القيود الاجتماعية المفروضة على إبداع المرأة وتناجها الفكري في معظم البلدان العربية، وهي قيود نابعة من عادات ومفاهيم مترسخة»⁽²⁴⁾، ومن ثم كان تناول «طويبا» لتلك الأزمة الثقافية النسوية من محاور متعددة.

رابعاً: نسق الثورة النسوية:

قدم «طويبا» عبر رواياته حالة من الثورة النسوية ورفض القيود عبر منحنى مؤثر في المجتمع تمثل في العلاقة الجسدية، والتي هي أحد أهم المحرمات في المجتمع بما تراكم عليها مع الزمان من تحفظات دينية وقيود اجتماعية زادت من التحفظات الدينية، وأضافت لهذا «التابو» ما لم تضفه الشرائع، ومن الموضوعات المهمة التي تشغل بال الدراسات الثقافية Taboo «بما تحمل من بنية ثقافية ترتبط بعادات وفكر The Sexuality والنقد الثقافي» «الجنسانية المجتمعات وما ترسخ فيها من أيديولوجيات، وعبر التعرض للروح النسوية للثورة في روايات «طويبا» تظهر الثورة الجنسية عبر رواياته من خلال رؤى متعددة لعل النقطة المحركة الأولى لها تتمثل في ذكورية المجتمع الذي يريد امتلاك المرأة والسيطرة غريزياً عليها، لتكون الثورة الجنسية حالاً تمس المرأة والقضايا النسوية؛ ما بين قرارها اختيار الرجل الذي تريده بما فيه من منافاة للعرف المجتمعي أو بالعلاقات الجنسية خارج منظومة الزواج، ثم تصل إلى المثلية الجنسية؛ فعلى سبيل المثال ، ومع The Middleages في رواية «تغريبة بني حنحوت» في آخر العصور الوسطى بالشرق لمجتمع يحمل أيديولوجيا محافظة The Enlightenment قدوم الحملة الفرنسية بثقافة التنوير هي الإسلام السني والمسيحية الأرثوذكسية ظهرت عادات تحمل حرية جنسانية تفر منها المجتمع، فكانوا يعتبرون ظهور النساء في الطرقات ومجالس العشاق عند الأزيكية انحلالاً وخروجاً عن العرف المجتمعي، وكان نموذج الثورية الجنسية بالنسبة لهم وتفعيلها في المجتمع المصري متمثلاً في «بنت الشيخ البكري» التي كانت تقيم علاقات مع الضباط الفرنسيين، مخالفة العرف الديني والمجتمعي؛

ولهذا بمجرد أن رحلت الحملة الفرنسية 1801م هجم الأهالي على بيتها وكسروا عنقها وقتلوا، وحملت صفة ظلت محفورة في الفلكلور؛ لتكون سبة لأي امرأة فيها ميل للانحلال وهي «مقصوفة الرقبة»⁽²⁵⁾. وتأتي كحال تمرد جنسي في ظل غطاء الشريعة شخصية «ثرثيا الشركسية»؛ ففي مجتمع يُباع فيه الإنسان ولا تملك المرأة فيه حق الرأي أمام سيطرة الذكر فإن «ثرثيا» تلقي شباكها على الرجل الذي تريده وهو «الشاطر» بطل الرواية الثاني وتطلبه للزواج، وهذا في ظل القيود الاجتماعية في أخريات العصور الوسطى يكسر إيقاع المجتمع. أما مع امتداد «التغريبة» إلى السودان؛ فرغم تواجد الفكر الديني وما يحمل من منهيات ومحرمات، إلا أنه في رحلة الرفاق الثلاثة «حتحوت» و«الشاطر» و«إدريس الدنكاوي» يمرون بمغامرة جنسية تختارهم فيها الفتيات بإرادتهن ويقضون ليلة من المتعة، والمجتمع الحامل للدين بأوامره ونواهيه مبارك لهذا، ولا يراه عيباً في حق الفتيات أو فاحشة، كما كانت «أم بوسة» أم سلطان الفور تتلذذ بمعاشرة الكثير من الرجال. لقد ارتبطت عبر روايات «طوبيا» حال الثورة الجنسية كفكرة وافدة - كما سبق الحديث - واستمرت في بقية رواياته تظهر لها حال القدوم إلى المجتمع من الخارج؛ إذ «بيروت» والمجتمع اللبناني يمثلان أكثر المجتمعات العربية انفتاحاً على إيقاع الحياة الغربية، وفي ضوء هذا قدم «طوبيا» شخصية «هيام بيروتي» في رواية «حكاية ريم الجميلة» بما تمثل من ثورة جنسية على عرف قانون الزواج في الأديان، فهي لا تكتفي بكسر إطار العلاقة مع زوجها لتمتد لرجال آخرين، بل وتقدم ثورة على النمط المعتاد في كون العلاقات الجنسية تكون بين ذكر وأنثى، وذلك من خلال الجذابها لبطل الرواية «ريم» ورغبتها في إقامة علاقة معها. ظهر مصطلح «الثورة الجنسية» بجلاء دلالاته في الفكر المعاصر عبر رواية «غرفة المصادفة الأرضية»، وكان يحمل - أيضاً - طبيعة الوفود للشرق، ولكن خلال مصدره في اصطلاح الأيديولوجيات المعاصرة، فقد صرحت «مهجة» التي عرفت مصطلحات الثقافة من «وليد» ذلك الناثر اللاجئ لمصر - برغبتها في المشاركة في الثورة الجنسية التي قامت في أوروبا خلال الحرب الباردة رافعة شعار «ممارسة الحب خير من ممارسة الحرب»، وتعتبر تجلياً من تجليات الفكر الوجودي الذي انتشر في أوروبا الرأسمالية.

خاتمة:

تأتي «النسوية» من أهم القضايا التي تعرض لها الدراسات الثقافية والنقد الثقافي في تحليل العمل الإبداعي، وقد احتلت المرأة أو القضايا النسوية عموماً مكانة كبيرة في روايات «طوبيا»، وخلال التحليل الثقافي عبر نسقية «العنافة والحداثة» تتكشف القضايا النسوية في رواياته وكيف كانت حالها مع الطبيعة الأيديولوجية وذكورية المجتمع والحالة الاقتصادية.

لقد عبرت رواية «ترميم قضية أحسن» عن جانب من القضايا النسوية فيه مراوحة بين أثر الأيديولوجيا من ناحية وأثر المنظومة المؤسساتية والاقتصاد من ناحية؛ إذ من ناحية أثر الأيديولوجيا على القضايا النسوية

تظهر روح حداثة في كون المرأة في الفكر المصري القديم كانت ملكة كما في الملكة الأم «إباح حتب» والملكة «حتشبسوت» وغيرهما، بل وصلت لمرحلة أقدس؛ وهي كونها إلهة كما في الربة «إيزيس» و«حتحور»، فلم تكن القيود الذكورية في الفكر المصري، وإن ظهرت مع الأيديولوجيا الوافدة في فترة احتلال الرعاة الهكسوس والتي تتسم بـ «العنافة»؛ حيث قدسوا إلهًا ذكوريًا صحراويًا هو «سوتخ» إله الزواجر والعواصف، كما ملّكوا الرجال فقط، ولكن المصريين طردوهم لتسيطر في مصر الأيديولوجيا المصرية المتسمة بـ «الحداثة»، ولكن تظل أزمة البعد الاقتصادي والمؤسسي تتسم بـ «العنافة» في موقف الموظف المسؤول عن تقسيم تركة الجد «نشي»؛ حيث تبرز له «تاخارو» مفاتها؛ لينصرها على أختها، كما تظهر «العنافة» الذكورية في محاولة النصاب «خاعي» الاستيلاء على أرض الأرملة «نوب نفره»؛ استغلالاً لضعفها، كما أن ضعف وضعها الاجتماعي والاقتصادي جعل مؤسسات الدولة وموظفيها تتعاون مع النصاب «خاعي» ضدها؛ حتى استطاع ابنها إثبات حقه بصعوبة.

أما في رواية «تغريبة بني حتوت» فإن روح القضايا النسوية؛ حيث في قرية «تلة» موطن عائلة «حتوت» في القرن الثامن عشر كانت الذكورية بفكرها محرّكًا للأحداث، فأمر الزواج يديرها رجال العائلة، و«منديل الشرف» عند الزفاف يحمل قيمة العائلة، وكان التعليم رغم اقتصره على الكتاتيب إلا أنه حكر للذكور، بل إن «العنافة» في معالجة القضايا النسوية تأخذ بعدًا ذكوريًا ماديًا، كما في أسر امرأة وبيعها سدادًا لما في ذمة زوجها، أو الاتجار في النساء تحت مسمى الجواري، وكذلك سي النساء عند الانتصار الحربي، ومنعهن من الخروج إلا للضرورة، وهن غير ظاهر منهن أي شيء، وقد بدأت معالجة القضايا النسوية تظهر في رواية «التغريبة» مع قدوم الحملة الفرنسية؛ حيث انتقل فكر «الحداثة» للمجتمع، ويظهر ذلك في فكرة اختلاط الرجال بالنساء على السواء في الاحتفالات، وكذلك عند «بركة الأزيكية»، كما يتعجب المصريون من معاملة الفرنسيين أنهم لا يسبون النساء وليس عندهم جوارٍ، كما يتعجبون من أن الجنرال «ديزيه» يطبع جاريتة الحبشية «سارة»⁽²⁶⁾ ويسعى لإرضائها، كما أنها ترد عليه وتعارضه، وأحيانًا ترفض معاشرته جنسيًا؛ بما يصور قائدًا عسكريًا أوريًا يحمل قيم «الحداثة النسوية»، فهو يحترم حق المرأة ورغبتها ورأيها، وبعد رحيل الحملة الفرنسية يظهر التغيير الحدائي في واقع المرأة وقضاياها النسوية؛ حيث تتظاهر النساء ضد ظلم «البرديسي» الذي أفقر الناس؛ فيهتفن: «إيش تاخذ من تفليسي يا برديسي»، ومع ارتفاع موجة «الحداثة» ظهرت مدارس تعليم الفتيات، بل وحدث تقارب بين الرجل والمرأة واعتاد التعامل معها، كما حدث مع «أمشير» أثناء اشتراكه في حملة «الخدو إسماعيل» لجنوب السودان وأعلى النيل؛ حيث لم يكن من المعتاد لشباب قروي من الصعيد في القرن التاسع عشر أن يجد نفسه يتعامل عن قرب مع امرأة، كما حدث مع زوجة قائده «صمويل بيكر»، والتي أحدثت له صدمة حين قبّلت جبينه

عندما كان مريضاً لا عن رغبة، بل تعاطفاً مع مرضه، ومع تعمق تيارات «الحدائث» تطور الفكر النسوي للمرأة في المجتمع المصري تحديداً فترة «سعد زغلول» التي بشر بها «طوبيا».

أما في رواية «عذراء الغروب»، فتظهر «النسوية» من خلال النظرة الذكورية والبعد المادي الاقتصادي للمرأة في قرية ريفية؛ إذ حَمَلت الفكرة الذكورية العتيقة «الهانم» مسؤولية عدم الإنجاب من «سيد الغروب» وصار وجودها مهدداً؛ مما دفعها إلى الخيانة ومعاشرة «علي الضرير» لتحمل، كما تظهر القضية النسوية المعتمدة على الظروف الاقتصادية من ناحية والسلطوية السياسية من ناحية، وذلك من خلال شخصية «العمدة غرباوي» الذي تجتمع له السلطة السياسية كعمدة للقرية مع سطوة رأس المال، فيستغل ذلك في استغلال الفلاحات اللاتي يأتين للخدمة في بيته؛ فيهتك أعراضهن؛ ثم يُزوج الواحدة منهن لأي فلاح فقير، كما فعل مع «زكية» التي تزوجها الفلاح البسيط «حسن السبع» مخدوعاً.

أما في رواية «دوائر عدم الإمكان» فتظهر أزمة القضايا النسوية عبر مجتمع القرية آخذة شكلاً مختلفاً؛ فالفكر الذكوري متغلغل في نساء القرية بصورة أيديولوجية تتسم بـ «العناقة»؛ فأُم «هنومة» رافضة لزواجها من «عواد» الذي يجبهها؛ لكونه فقيراً وابنتها جميلة فاتنة بما يصور تسليع الجسد، وبعد الزواج تُحْمَل نساء القرية وفلاحات الحقول «هنومة» مسؤولية تأخر الإنجاب، ويرددن وصفها بأنها «أرض بور»، رغم أن «الحكيمة» أشارت إلى إهمال «عواد» علاج «البهارسيا» التي قد تكون سبباً في عجزه الإنجابي، كما يظهر الجهل في معالجة القضايا النسوية في مجتمع متراجع حضارياً تنصح فيه الجارة صاحبها «هنومة» بوصفة بدائية قريبة من الطقوس الوثنية الجنسانية هي «حلب النجوم»؛ حتى تعالج عقمها وتأخر حملها، ولكن تفشل.

أما رواية «حكاية ريم الجميلة» فعلى النقيض؛ إذ تعاني «ريم» من سلبيات الذكورية خلال حياة القرية؛ حيث تسببت سيطرة أبيها في تأخر علاج أمها فماتت، لتفر «ريم» إلى حياة المدينة وإيقاع «الحدائث» الذي يؤديها أيضاً؛ حيث الدراسة في الجامعة، ثم العمل مذيعة، وقصة حب مع رسام تنتهي بفقد عذريتها وإجهاضها.

إن «طوبيا» في روايته «غرفة المصادفة الأرضية» و«حنان» قدم إشكاليات القضايا النسوية، ولكن مع إيقاع «الحدائث» ذاته، وكأنه يكشف قبحياته؛ ففي «غرفة المصادفة الأرضية» يظهر أثر «الحدائث» والحياة العصرية والفكر الجديد على كل من «مهجة» و«زوبا» اللتين تربطهما علاقة بالمعارض «وليد»؛ فهو مجرد ناقل للفكر الجديد يردده بلسانه، ولكنه لا يتفاعل معه ويطبقه في حياته؛ مما يجعله يخسر «مهجة» التي لا تمثل له إلا جسداً يحاول الإيقاع به في ضوء فكر المجتمعات المنفتحة خارج إطار الزواج، وكأن ما أخذه من إيقاع «الحدائث» ينحصر في العلاقة الجسدية، ولتصير «مهجة» محلاً للتنقل والفرار، فتذهب إلى شقة «رسمي بيه» ثم تفر من عنده، مع تكهنات أنها اتجهت للبغاء تبيع نفسها لأثرياء الخليج؛ مما خلق من

«الحدائث» حالة من الشتات بالنسبة لها. أما «زوبا» فقد صار حظها من فكر «الحدائث» أنها صارت تردد مصطلحات الثقافة الغربية، وتنتظر قدوم عشيقات «وليد»، وقد تعاشره هي الأخرى؛ لتكون في منزلة بين القوادة والعشيقة الخادمة، وفي مشهد منقلب يقدم «طوبيا» عبر تقنية التزيين بالتداخل «الديكوباج» مشهداً لطفلين ذكر وأنثى يجريان ويلعبان مع كباش الفجر، ثم يأتیان أمام تمثال الصقر «حوريس» فيتجردان؛ ليتحول الإيقاع عبر هذا التداخل من مشكلات النسوية عبر «الحدائث» إلى الخلاص عبر «العنقاة»؛ إذ يشير إلى أن جسد الفتاة لم يكن نبت بعد، فلم تكن المرأة تعاني تسليع الجسد ولا مطاردة الغرائز، كما لم تكن حبيسة الأفكار الحديثة والأيدولوجيات الوافدة، بل كانت على حال من الفطرة قريبة من نقاء الطفولة وحياة المصري القديم المستقر بجانب النهر. وهذا الخلاص من الإشكاليات النسوية قدمه «طوبيا» في رواية «حنان»؛ حيث «الحدائث» المتمثلة في الرأسمالية الغربية الشرسة وسحقها للمرأة وتسليعها، وعدم النظر لحقوقها العاطفية والغريزية والأمومية عن طريق الزوج «نصر» الذي بفعل طموحه الرأسمالي النهم يهمل زوجته؛ فتكون نجاتها عن طريق «العجري» المغامر الذي يهبها المشاعر التي تحتاجها.

في ضوء ذلك العرض البحثي يظهر أن روايات «طوبيا» أعطت رؤية ثقافية لقراءة القضايا النسوية؛ حيث حملت في داخلها مشكلات وحلولاً في علاقة جدلية تعبر عن حالات متنوعة للمشاكل الخاصة بالمرأة والتي يعتني بها الفكر النسوي، ويظهر ذلك عبر تلك النقاط:

- رأى «طوبيا» أن الثقافة المصرية الأصيلة المرتبطة بفكر قدماء المصريين كانت متسامحة مع المرأة، وتعاملت مع الروح النسوية بحرية ووعي ثقافي.
- ناقش «طوبيا» أزمة القضايا النسوية في ضوء التغيرات الاقتصادية، وكيف كان الاقتصاد والظروف الطبقيّة سبباً كبيراً في قهرها.
- أظهر «طوبيا» أن المجتمع في ضوء السلطوية الذكورية أضاف للعرف الديني قيوداً ساهمت في تقييد حرية المرأة.
- عبر «طوبيا» عن الروح النسوية الإفريقية، وأنها مرتبطة بالنهر وتقدم حالة من التدين المرتبط بالله الواحد، مع التسامح في بعض المنهيات وإعطاء المرأة حرية جنسية تشمل حقها في الإدارة والاختيار.
- جعل «طوبيا» من الثقافة الوافدة من الغرب مرآة لنقد القضايا النسوية ومشكلات المرأة في المجتمع المصري، كما كشف أن الحدائث الوافدة كما أفادت المرأة في أشياء أضرّتها في أشياء، حتى صار الماضي يحمل نجاتها لها أحياناً.

- يرى «طوبيا» أن علاج القضايا النسوية التي يعاني منها المجتمع يتمثل في العودة للهوية المصرية الأصيلة التي تتبع من ثقافة نهر النيل والأرض الزراعية، مع الأخذ من قيم المجتمع الحديث مراعاة لتطور الحياة وتقدمها.

الهوامش

- (1) لسان العرب - جمال الدين أبو المكارم محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي - تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين - مجلد 5 - دار المعارف القاهرة - مصر - سنة 1980 - ص 4013.
- (2) القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - مصر - ط 8 - 2005م - ص 925.
- (3) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية - جلال الدين سعيد - دار الجنوب للنشر - تونس - ط 1 - 2004 - ص: 467.
- (4) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - سعيد علوش - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 1 - 1985 - ص: 211.
- (5) لسان العرب - ابن منظور - مجلد 3 - ص 28.
- (6) الدراسات الثقافية - زيودين ساردار، بورين فان لون - ترجمة: وفاء عبد القادر - المجلس الأعلى للثقافة - مصر - 2003 - ص 8.
- (7) علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي - قباري محمد إسماعيل - منشأة المعارف (د ط)، الإسكندرية، مصر - ط 1 - 1982 - ص 16.
- (8) الثقافة والهوية والوعي العربي - محمود الضبع - بتانة للنشر والتوزيع - مصر - ط 1 - 2016 - ص 22.
- (9) مشكلة الثقافة - مالك بن نبي - ترجمة: عبد الصبور شاهين - دار الفكر دمشق - ط 4 - 1984 - ص 74.
- (10) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية «إنجليزي - فرنسي - عربي» - أحمد زكي بدوي - مكتبة لبنان - بيروت - ط 1 - 1978 - ص 419.
- (11) النقد الثقافي - عبد الله الغدامي - المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - المغرب - ط 3 - 2005 - ص 78.
- (12) نقد ثقافي أم نقد أدبي - عبد الله محمد الغدامي، عبد النبي أصطيف - دار الفكر (دمشق) - دار الفكر المعاصر (بيروت) - ط 1 - 2004 - ص: 33.
- (13) رسالة دكتوراه بعنوان: «الأنساق الثقافية في أدب الخوارج في العصر الأموي» - إعداد: محمود إمام أحمد عبد اللطيف - إشراف: عبد الحميد شبيحة - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ص 145.
- (14) نقلاً عن جريدة الأخبار بتاريخ 5 مايو (أيار) 1968 - عدد 4946.
- (15) أوراق العذراء - مجيد طوبيا - دار تبارك للنشر والتوزيع - ط 1 - مصر - 2018 - ص: 17.
- (16) نقلاً عن مقال بعنوان «دور المرأة في العصر الفرعوني» - للباحث/ أحمد السيد الكردي - بتاريخ 4 يولية 2010 - <https://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/134169>
- (17) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - ص 419.
- (18) مقال بعنوان «السحر على طاولة العلم» - بقلم: محمد السعد - جريدة الوطن - بتاريخ: 31 مارس 2021.

- (19) الحياة الجنسية في مصر القديمة - ليز مانيش - ترجمة: رفعت السيد علي - جماعة حور الثقافية - مصر - ط 1 - 2002 - ص 9.
- (20) النقد النقائي - آرثر أيزابجر - ترجمة: وفاء إبراهيم - رمضان بسطاويسي - المجلس الأعلى للثقافة - ص 68.
- (21) النقد النقائي المقارن - عز الدين المناصرة - دار مجدلاوي للنشر - الأردن - 2005 - ط 1 - ص: 308.
- (22) أوراق العذراء - مجيد طوبيا - ص: 17.
- (23) الهؤلاء - مجيد طوبيا - مكتبة غريب - مصر - 1983 - ط 1 - ص: 45.
- (24) نقد ثقافة التخلف - جابر عصفور - إصدار مكتبة الأسرة عن دار الشروق - مصر - 2009 - ص: 265.
- (25) هكذا أورد «طوبيا» عن مصدر العصر وهو «عبد الرحمن الجبرتي»، ولعل في الأمر جهالة تحتاج التريث البحثي؛ إذ قد تكون تلك الفتاة قد تشربت بعضًا من أفكار الحدائث الفرنسية التنويرية، فظهرت بصورة فيها تحرر لا يألفه المجتمع المصري في العصور الوسطى، وفي ظل انعدام التوثيق وثقافة القيل والقال الشعبية رماها الناس بالزنى وقتلوا وباب البحث متسع للجميع.
- (26) لم يكن لدى الفرنسيين جوار، و«سارة الحبشية» جارية أحضروها للجنرال «ديزيه» أثناء وجوده في مصر.